

**الدور الحضاري لنشاط التجارة بين  
شمال وغرب أفريقيا في العصور  
الإسلامية الوسيطة**

إعداد

د . غيثان بن علي بن جريس

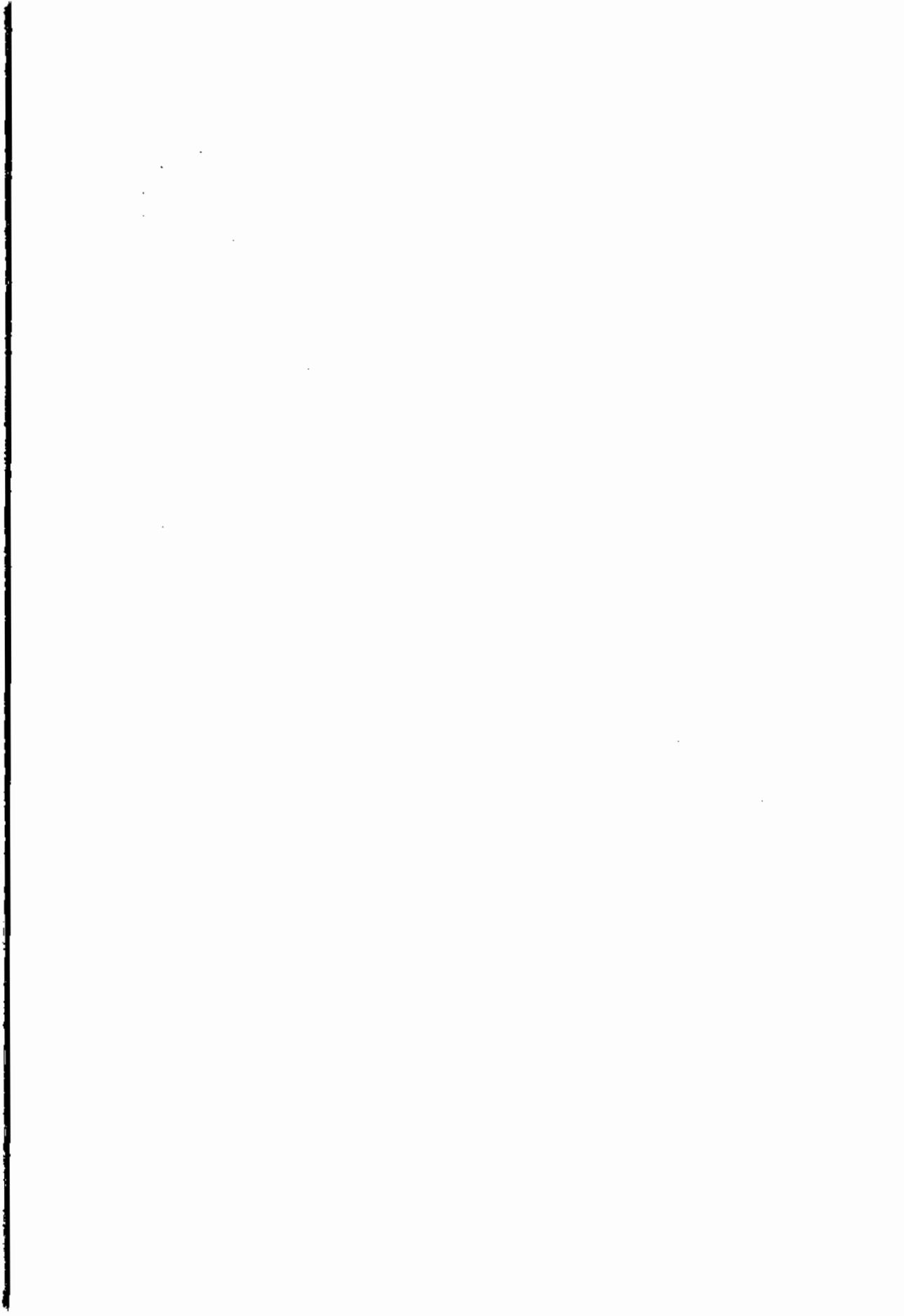
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

ورئيس قسم التاريخ

جامعة الملك سعود - كلية التربية

فرع أبها

(١٧٤١٧هـ / ١٩٩٦م)



## الدور الحضاري لنشاط التجارة بين

### شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

الثابت أن أعظم الثقافات وأقواها تأثيراً في حضارة شمالي وغربي أفريقية هي التي تعود إلى عصر الإسلام ، حتى إن العالم الأوروبي، ظل ليضعة قرون، يعتقد أن بلاد السودان عامة والصحراء في شمالها ليست سوى جزء من العالم الإسلامي<sup>(1)</sup> . لقد حدث أن اعتنق معظم سكان الحزام السوداني الإسلام بحماس<sup>(2)</sup> ، وعن طريق الإسلام دخل قدر كبير من مظاهر الحضارة الإسلامية البلاد ، وبرز في رحاب الإسلام ، بتلك البلاد، عدد كبير من العلماء الأفريقيين السود الذين كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ الوطني لبلادهم<sup>(3)</sup> . ثم بالإسلام ظهرت الدول الإسلامية في أفريقية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الأوروبي . إذن لم يخطيء المؤرخون حين قالوا :- إن بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقية السوداء . والمقصود بالعصر التاريخي هنا ، ازدهار الحضارة الأفريقية الوطنية الإسلامية ، والحق أن العصر الذهبي في تاريخ البلاد الإسلامية الأفريقية ، أو تاريخ السودان الأوسط والغربي، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط . ففي ذلك العصر، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة ، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة ، التي خطت بالحياة في أفريقية الإسلامية تلك الخطوات الحضارية القوية<sup>(4)</sup> .

ففي الحقبة التي تمتد من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، إلى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي) ، حفلت بلاد غرب أفريقية بالآلاف من العلماء والرحالة والتجار المسلمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي ، من المشرق، ووادي النيل بصفة خاصة، ومن بلاد المغرب العربي في شمال أفريقية بصفة عامة ، كما سافر عدد كبير من مسلمي غربي أفريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر و مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وشمال

أفريقية، ونهضت تلك البلاد التي أمها المسلمون الأفريقيون لشتى الأغراض، بما ينبغي عليها من الرفاء، الذي سجله التاريخ، من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتذليل سيل العلم، بجانب تبادل المنافع التجارية، بل اختلطت دماء أهل البلاد بغيرهم من المسلمين، مما زاد الرابطة ووثق العلاقة. وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الأفريقية الزاهرة، حدود القارة، أمثال: كومي صالغ في غان، ومالي، وجني، وتبكت (تبكتي)، وولاته، وتكده وونقاره، وكور، وكاتسينا، وصكت وغيرها<sup>(٥)</sup>.

لقد تطلعت بلاد السودان الأوسط والغربي إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أحل العقيدة والمدنية، ولم تحلّ وعورة الصحراء دون اجتيازها، فطرق القوافل - التي تعد بالعشرات - تخترقها منذ أقدم العصور. ويمكن التماس ثلاثة منابع رئيسة للتأثير الإسلامي في أفريقية السوداء عامة، وهي:-

- ١ - من شمال أفريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والأعلى.
- ٢ - المتبع المصري عن طريق التوبة وطرق القوافل الشرقية إلى برنر فبلاد الهرسا.
- ٣ - من بلاد العرب عبر البحر الأحمر إلى الحبشة ثم بلاد اليورربا والأشانتي.

وعن هذه المنابع الثلاثة، وصلت الثقافة العربية والإسلامية إلى العناصر السوداء، وساعد على ذلك وقوع مصر والسودان في طريق الحج، واهتمام أولي الأمر فيها بتيسير أمور السفر إلى الأراضي المقدسة منذ فجر الإسلام، بل إن شمال أفريقيا ووادي النيل عامة، كانا من أهم المراكز والمنابع التي زحفت منها الدعوة الإسلامية، وكانت مصر، ثم المغرب، أسبق الأقطار إلى اعتناق الإسلام، ثم زحف الإسلام جنوباً مخترقاً الصحراء إلى بلاد التوبة وبلاد غربي أفريقية<sup>(٦)</sup>.

وقد أُنشِر الإسلام مبكراً في بلاد غرب أفريقيا ، ومن الأدلة التاريخية على ذلك ، مذكوره البكري، من أنه حوالي عام ( ٦٠هـ / ٩٧٩م ) ، كان يوجد بالحلي الإسلامي بمدينة غانه أو كومي صالح ، عاصمة إمبراطورية غانه ، اثنا عشر مسجداً ، وقد زار البكري غانه عام ( ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ) ، وذلك قبل سقوطها بقليل ، وأدرك فيها هذا العدد من المساجد ، بجانب عدد من المدارس القرآنية والإسلامية بالقسم الإسلامي<sup>(٧)</sup> . وأورد البكري، كذلك ، أن بني أمية أرسلوا جيشاً في صدر الإسلام لفتح بلاد السودان، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانة ، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام ( ١٠٢هـ / ٧٢٠م ) وعادت بكميات كبيرة من الذهب<sup>(٨)</sup> . وعن القَلْقَشَنْدَرِي، أن أهل غانه أسلموا أول الفتح<sup>(٩)</sup> وقد أسلم أحد ملوك غانه في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) وهو تلوتان بن تكلان، ويقال إنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين<sup>(١٠)</sup> . ويقال - كذلك - إن أربعة من جيش عمر بن عبد العزيز ( ٩٩-١٠١هـ ) ( ٧١٧-٧٢٠م ) هاجروا إلى كاتم، وأن بعض بني أمية توجهوا إلى كاتم عند محتهم سع بني العباس<sup>(١١)</sup> . ولاشك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً جزئياً في التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر، وهي خلاصة لأدلة تاريخية على قدم الإسلام في غرب أفريقية ، توضح أن العلاقات بين هذه البلاد وشمال أفريقيا بل وآسيا وأوروبا ترجع إلى زمن سحيق، وهي علاقات كما بدأت بحارية تبودلت فيها منتجات وسط أفريقية وغربها بالسلع الخارجية عن طريق القوافل، ثم نشطت حركة التبادل التجاري والمواصلات بعد دخول الجمل أفريقية حوالي القرن الأول قبل الميلاد، كما أن الفتح الإسلامي لمصر وشمال أفريقية ، قد أدت إلى دفع المسلمين شمالاً حتى الأندلس وفرنسا<sup>(١٢)</sup> .

لذلك يمكن القول ، إن أفريقية ، وعلى الأخص غربها ووسطها، لم تعزل تجارياً وحضارياً عن شمالها، وعن أوروبا وآسيا في أي فترة من فترات التاريخ ؛ وكان لهذا الاتصال المستمر أثره البشري في حياة الزنوج في تلك البلاد، فضلاً عن الآثار الاقتصادية والحضارية والثقافية ، ومن بينها عقيدة الإسلام بدرجة ما، هناك الأثر الجنسي الذي أدى إلى ضغط العناصر البيضاء من البربر والعرب على تلك البلاد منذ أزمنة مرغلة في القدم ، واختلاطهم بأهلها، وقد أدى هذا إلى امتزاج دمائهم بالدماء الزنجية حتى تغيرت ألوان أهل غرب أفريقية ، مما يصعب معه وصفهم بالزنوج . ومن أجل هذا الاندماج ، جاء وصف المؤرخين والجغرافيين العرب لبلاد السودان دقيقاً ، فيقول الإصطخري مثلاً عن السودان: "إنهم ليسو بنوبة ولا بزنج ولا من البجّة ، إلا أنهم جنس أشد سواداً من الجميع وأصفى" (١٣).

بعبارة أخرى : لقد وجد الإسلام طريقه من شمال أفريقيا إلى بلاد السودان الأرمط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، لا عن طريق الفتح الحربي والضغط والقهر، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكُتب والمدارس والمساجد؛ لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة القوية عن طريق الحرب، بدليل أن الإسلام ، في تلك البلاد ، ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً وليس بالمستضعفة منها ، ثم نما وترعرع في المدن الكبرى التي أقامها المسلمون و استقرروا فيها ، فتمت وكبرت واشتهرت ، وأدى ذلك إلى قيام الدول التاريخية الإسلامية الأفريقية الكبرى خلال فترة العصور الوسطى (القرن الثاني إلى العاشر للهجرة / الثامن إلى السادس عشر للميلاد)، وهي ممالك إسلامية سادت ردهاً من الزمن، وأسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى تلك المناطق ، كما ساعدت على نشر

التراث الإسلامي . هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته تلك الممالك في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فاستمر دفع الحضارة الإسلامية في أفريقيا في الانتشار والازدهار حتى بلغ مداه وانتشاره في القرن الرابع عشر للهجرة (القرن التاسع عشر الميلادي).<sup>(١٤)</sup>

لقد كان للنشاط التجاري العربي والإسلامي عبر الطريق الصحراوي الغربي منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن الخامس منه، الأثر الكبير في تلك النُقْلة الحضارية الهائلة التي حظيت بها بلاد غرب أفريقيا خلال فترة العصور الوسطى ؛ لأن التجار العرب قد تمكنوا مع بداية الفترات الإسلامية من التوغل في مدن بلاد المغرب المختلفة، ومن ثم في المراكز التجارية السودانية<sup>(١٥)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن التجار البربر كانوا قد سبقوا العرب في نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي، كما استقروا مع العرب في ممارسة أعمالهم التجارية بتلك المناطق . وفي خلال هذا التقدم كانت الصحراء هي الطريق الرئيسة لعملية التوغل العربي التجاري إلى الجنوب، ويبدو أن هذا التوغل هو الذي هيا المجال للعرب ليس فقط لممارسة تجارة الصحراء ، بل للالتقاء والاختلاط مع بربر الصحراء والتأثير عليهم ، وحدث الأمر نفسه بالنسبة للأفريقيين في بلاد السودان الأوسط والغربي . لذلك لعبت تجارة القوافل دوراً بارزاً في التفاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة، مثلما عملت على توسيع الاتصالات بين شمال القارة ووسطها وغربها . كما عملت هذه التجارة على تنشيط حركة المواصلات والتبادل التجاري، فازدادت المعرفة بثروات تلك البلاد، وازدادت النقلة من وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط على أثر دخول الجمل أفريقية - كما سبق القول - وقلّت الأخطار والمخاوف التي تكنف السفر داخل الصحراء ، ولوحظ هذا الازدياد وهذا النشاط منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً<sup>(١٦)</sup> . وكان سكان شمال أفريقيا من فينيقيين ويهود وإغريق ورومان وبربر وعرب يشجعون تجارهم على تنمية علاقاتهم التجارية

وغيرها مع غرب أفريقيا ، وعقد هؤلاء التجار معاهدات تجارية مع مواطني غرب أفريقيا في العصر الرسطي<sup>(١٧)</sup> .

وبزيادة الاتصالات وسهولتها ، كثرت هجرات عربية من الشرق وشمال أفريقيا إلى بلاد السودان جنوبي الصحراء ولاسيما بعد ظهور الإسلام . فبعد الفتح العربي الإسلامي لمصر عام (٢٠هـ - ٦٤١م) ، وما تلاه من فتح شمال أفريقيا ، وصلت حملات إسلامية إلى منطقة كاوار (Kawar) قرب بحيرة تشاد حوالي عام (٤٦هـ - ٦٦٦م) ، وإلى السنغال عام (١٠٢هـ - ٧٢٠م) ، وأدت إلى استقرار أعداد كبيرة منهم في بلاد السودان على حافة الصحراء ، وإلى اختلاط هؤلاء بالسكان الأصليين، مما كان له أكبر الأثر في تغيير ألوان الزنوج -عبر القرون- في تلك المناطق، حتى كان استخدام كلمة " أسود " للدلالة على سكان مناطق السافانا جنوبي الصحراء أدق من كلمة زنجي<sup>(١٨)</sup> . ولكثرة الآثار الشرقية والإسلامية وتنوعها في العصر الإسلامي ، ظل العالم الأوروبي لبضعة قرون، يعتقد أن بلاد السودان والصحراء في شماليها ، ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الإسلامي<sup>(١٩)</sup> .

تمكن المسلمون في شمال أفريقية - بعد ذلك - أن يحتكروا تجارة القوافل عبر الصحراء، بل وتمكنوا من أن يتصلوا بقلب أفريقيا اتصالاً مباشراً . ولأسباب دينية وتجارية أصر المسلمون في شمال أفريقية على احتكارهم المطلق للقيام بدور الوسيط مع الأقاليم الداخلية في أفريقية عبر الصحراء . ولذلك اقتصر نشاط التجار المسيحيين على المناطق الساحلية من بلاد شمال أفريقيا<sup>(٢٠)</sup> . لهذا كله يمكن القول :- إن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي، وازداد بعد ذلك بدخول الإسلام في القارة الأفريقية .

ومن المعروف أن هناك ثلاثة طرق رئيسة صحراوية تربط بلاد المغرب في الشمال ببلاد السودان في الجنوب عبر الصحراء ، وهي : -

١ - الطريق الشرقي : الذي يربط المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) بالسودان الغربي (كوار وكاتم) عبر صحراء فزان .

٢ - الطريق الأوسط : يربط المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) بالسودان الأوسط (كوكو) عبر الصحراء الوسطى .

٣ - الطريق الغربي : يربط المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) بالسودان الغربي (غانة والتكرور ومناجم الذهب) عبر الصحراء الغربية<sup>(٢١)</sup> .

لقد كانت هذه الطرق تبدأ من مصر وطرابلس وتونس وتلمسان ومراكش متجهة إلى الجنوب ، فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز الرئيسية في غربي أفريقية ، مثل غانة القديمة ، وإلى تنبكت (تيمبو) ولايات الهوسا وكاتم - برنو . وقد تتصل بعض هذه الطرق في الصحراء ثم تتفرع إلى جهات مختلفة . فمثلاً القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولاً صوب المغرب إلى أوجله ومرزوق ، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كاتم - برنو بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر جنوباً إلى أن تصل إلى غاط (Gatt) حيث تلتقي بقافلة أخرى من تونس ، ثم تتجه صوب الجنوب إلى ولايات الهوسا عن طريق أهير (Ahir) . ووصف لنا المؤرخ فاجي (Fage) تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغربي أفريقية فيما بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر الميلادي ، حيث ذكر عدة طرق تجارية في تلك الفترة<sup>(٢٢)</sup> . ويذكر المؤرخ بوفيل (Bovil) أربعة طرق رئيسة كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي<sup>(٢٣)</sup> :-

- ١ - من سجلماسة إلى ولاته ، ثم توجه إلى بلاد السنغال وأعلى نهر النيجر حيث الذهب .
- ٢ - ومن غدامس إلى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير .
- ٣ - من طرابلس إلى البرنو ونهر تشاد ماراً بفزان وكوار .
- ٤ - ومن قونية (Cyrenaica) إلى رداى عن طريق كفرة .

وقد أصبحت كل هذه المراكز تجارية وثقافية مشهورة ، وكان فيها أسواق مشهورة يؤمها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية . وقد قام كل منها بنشاط في نشر الإسلام والثقافة العربية في مختلف الأزمان . وكان أولئك التجار يجلبون معهم إلى غربي أفريقيا تلك البضائع المطلوبة كالحرير والسروج والتحاس والملح وأدوات شتى من منسوجات، فيبيعونها ، ويشترون الذهب والجلود والعاج والعييد<sup>(٢٤)</sup> .

لقد كانت هذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي أفريقيا التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هي بداية انتشار الإسلام واللغة العربية في أفريقيا بصفة عامة . ولقد استمرت هذه العلاقة بطريقة سلمية طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية . فالتجارة ، بطبيعة الحال، تلزم إيجاد لغة للتخاطب بين البائع والمشتري ، كما تولد الصلة الحميمة بينهما . وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية؛ فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، فوضعت هذه العلاقة التجارية الحجر الأساس للعربية في أفريقيا ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في تلك الربوع الأفريقية ، واندمج بعضها في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام، ومما

يؤكد هذا ، وجودُ كلماتٍ عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية مثل لغتي الهوسا والغلاني،<sup>(٢٥)</sup> وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تُصدَّرُ إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام . ثم بالإسلام ظهرت الممالك الإسلامية الكبرى مثل غانا ومالي وصنغي وكاتم ، وهي ممالك أفريقية . والراجح أن يكون الإسلام قد دخل غانا عن طريق السلم ، وانتشر بالطريقة نفسها ، فيكونُ التجار والدعاة الذين دخلوها أفراداً ووفوداً هم الذين قاموا بنشره ثم اتسعت رقعته كثيراً بعد حركة المرابطين ، وتوغل في غرب أفريقية ووسطها . ومما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة . ويفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي<sup>(٢٦)</sup> . ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانا القديمة قبل دخول المرابطين . فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يتولون إدارة الدواوين ، ومنهم الوزراء الذين كانوا يساعدون الملوك الوثنيين . وقد ذكر البكري (( أن تراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله ، وأكثر وزراءه ))<sup>(٢٧)</sup> . ثم أخذت مملكة مالي دور غانا بعد اختفائها من المسرح التاريخي السياسي<sup>(٢٨)</sup> ، فواصلت عملية نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، التي بلغت أوجها بين القرنين الثالث والرابع للهجرة ( التاسع والعاشر للميلاد ) وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التي قامت في غربي أفريقية في تلك العصور . وكان أهلها متمسكين بالإسلام ومتحمسين له وخاصة قبيلة الماندينجو . وقد أعطى ابن بطوطة صراحة واضحة لهذه المملكة عند زيارته لعاصمتها مالي في سنة ( ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م ) ، وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن الكريم حيث قال : (( وهم يجعلون لأولادهم القبور إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تُفكُّ عنهم حتى يحفظوه ، ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد وأولاده

مقيدون، فقلت له: أَلَا تُسَرِّحُهُمْ؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن)) . وقال أيضاً: " مررت يوماً بشاب من أهل مالي حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي :- ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي :- إنما قُيدَ حتى يحفظ القرآن" (٢٩) .

هذا، ويتضح مما سبق أن الإسلام قد دخل غربي أفريقيا ووسطها أولاً بطريقة سُمِّيَة، وهي طريقة التجارة والدعوة . وبما أن دولة غانا كانت أقدم دولة أفريقية في تلك المنطقة، فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام ثم ينتشر منها إلى البلاد المجاورة . وبعد سيطرة المرابطين على دولة غانا، وسيطرة المسلمين التامة على طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن الخامس الهجري ( الحادي عشر الميلادي)، أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة عن طريق الفتح والتجارة والدعوة . وبهذا اتسع نطاق الإسلام إلى البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . وفي ظل هذا الازدهار وتلك الحماية التي وجدتها تجارة القوافل، تسربت الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد جديدة لم تطأها أقدام المسلمين، فوصلوا أراضي دندي، ويوري، ونوبى ، ثم توغلا جنوباً حتى بلاد الأشانتي وداهومى (٣٠) .

تلا انتشار الإسلام ، أن انتشرت اللغة العربية ، وقد ساعد على انتشارها والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها، أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادَّعت الأصول الشرقية . لقد ادَّعى ملوك مالي والتكرور وصنغي وبرنو والحرسا والثلانين وغيرهم ، أنهم انحدروا أصلاً من العرب، وأن أسلافهم الأوائل جاؤوا من الشرق ، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقيا الإسلامية حجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الحجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار

الإسلام. ثم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل شوا ( في تشاد) والفلاني والماندنجو<sup>(٣١)</sup>. وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحلّ وعورة الصحراء دون اجتيازها<sup>(٣٢)</sup>.

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي أفريقية بعهود الممالك الإسلامية الأفريقية الكبرى في غانا ومالي وصنغي ثم برنو، وممالك الهوسا والتكاررة والفلانيين. فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها واستُخدمت في شتى الأغراض وأُوقِتَ بها. لقد استخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي. ووجد في اللواوين الرسمية زمن دولة الممالك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لا بد من تصدير المكاتبات بها<sup>(٣٣)</sup>.

لذلك يتضح من هذا العرض السريع، أن اللغة العربية كانت اللغة الأم في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة الصكية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في بداية القرن الثالث عشر الهجري ( التاسع عشر الميلادي) في شمال نيجيريا وعاشت حتى مطلع القرن العشرين. فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد نيجيريا<sup>(٣٤)</sup> مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد، لغة المراسلات الدبلوماسية والوثائق والمعاهدات. ومعنى آخر :- كانت اللغة العربية هي اللغة المسائدة (Lingua Franca). وقد تفانى ملوك تلك البلاد في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزنوج. وذكر ابن حوقل أن ملك أردغست (تيوتان) كان شديد الحماس

نشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب<sup>(٣٥)</sup>. وكانت اللغة العربية في غانه وولاته ونيمه (Nima) هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات، واحتلت هذه اللغة في غانه وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى، بل زادت عليها؛ إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور، أكثر من هذا، شهد بعض المكشفيين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلام سكان غربي أفريقية باللغة العربية، يفوق إلام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط<sup>(٣٦)</sup>.

وكما سبق، فإن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل الأفريقية ليث العقيدة الصحيحة. وأقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا في غانه وغيرها من بلاد السودان، والذين اتصلوا بتلك البلاد، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية، بدليل استعانة ملوك غانه بهم في أجل أعمالهم.

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في غانه، فهناك عامل آخر ساعد على نشره في الممالك المجاورة لها، وذلك هو الهجرة التي قام بها التجار المسلمون من غانه إلى المدن الأخرى، وخاصة إثر غزوة قبائل الصرصر الوثنية لغانا والاستيلاء عليها<sup>(٣٧)</sup>، فانتشروا في البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين والثقافة العربية في أفريقية.

وتعدّ مرحلة انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية على أيدي ملوك مالي أيضاً من المراحل الهامة في تاريخ تطور وانتشار اللغة العربية على نطاق واسع في بلاد السودان الأوسط والغربي . ففي هذه المرحلة ازدهرت الحركة العلمية ، وعُرف عن السلطان كتنن موسى أنه استقدم عدداً كبيراً من العلماء، ولاسيما من الحجاز ومصر والمغرب والأندلس<sup>(٣٨)</sup> ، فاستألت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء . وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين مالي والخوراج ، من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مالي<sup>(٣٩)</sup> . ومن المدن التي اشتهرت بكثرة علمائها : تيبكت (تيمبوكتو) ومالي وجنى وجار<sup>(٤٠)</sup> ، حتى إنه عندما تدهورت دولة مالي سياسياً، بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في قلب أفريقيا . وأهم مركز ثقافي في تيبكت (تيمبوكتو) : مسجد سنكري أو جامعة سنكري، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الإسلامية، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذي نقل عنه السعدي الكثير مما أورده في كتابه " تاريخ السودان"<sup>(٤١)</sup> .

وقد وُجِدَت المدارسُ الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد، مثل مدارس غانه ومالي . ويقول ابن بطوطه عن أهل مدينة مالي :- إنهم قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلب علم<sup>(٤٢)</sup> . وبجانب الاهتمام بالقرآن ، كما ذكر ابن بطوطه، هناك الاهتمام بلغة القرآن، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غربي أفريقيا عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية . ويقول توماس أرنولد " غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة"<sup>(٤٣)</sup> . ويقول ديشان (Deschan) : " ولم تكتف قبائل الممالك الأفريقية بدخول الإسلام، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد"<sup>(٤٤)</sup> .

وهناك خصائص معينة في نطق حروف العربية بغير سسيمي عربي أفريقية. وأما طريقة الكتابة، فهي طريقة المغاربة. مما يوضح أثر شمالي أفريقيا في ذلك، قول التلقشندي " وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب من موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي" (٤٥)

ساعد ازدهار إمبراطورية مالي الإسلامية واتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وثقافتهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية، ولاسيما لغات الهوسا وصنفي والفلاني، فاستُخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة الفلانية ولاتزال إلى اليوم.

كذلك يُضمُّ إلى هذا الدور ما قامت به مملكة كاتم - برنو من جهود كبيرة لنشر الإسلام ولغته العربية، تلك المملكة، التي تأسست قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ثم دخل إليها الإسلام عن طريق التجار أولاً ثم انتشر تدريجياً، كما دخلت اللغة العربية وانتشرت، ولقد ساعد في انتشارها وجود عدد كبير من العرب فيها، ووجود صلة تجارية وثقافية وسياسية مع البلاد العربية الإسلامية. والمشهور أن الإسلام وصل إلى كاتم من مصر مباشرة (٤٦). ومن أشهر دعاة الإسلام في كاتم محمد بن ماني في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). واشتهر حكامُ برنو بحماستهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية، حتى إن الماي عثمان بن زينب (ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) ادعى أنه من نسل عثمان بن عفان (٤٧).

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول بحيرة تشاد وماجاورها، وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من طرابلس وتتجه إلى الجنوب عن طريق فزان ويلما إلى آد تصل إلى كاتم، وهذا مما سهل وصول التجار المسلمين إليها، وبالتالي دخول الإسلام. فلاشك أن التجار

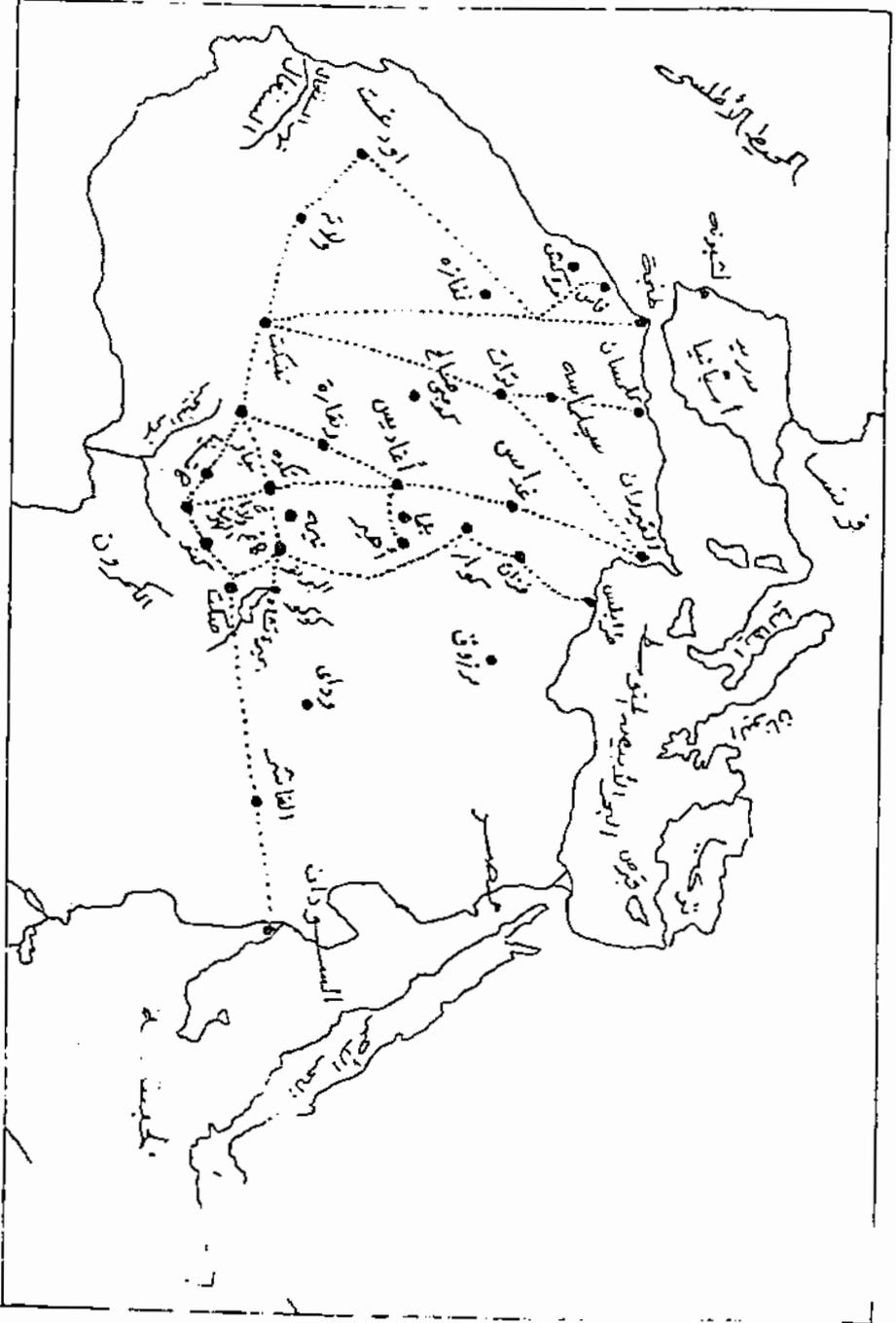
هم الذين أدخلوا الإسلام إلى تلك المنطقة . وقد ذكر محمد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه إنفاق الميسور :- أن الإسلام دخل كاتم عن طريق التجار والمسافرين . وأضاف محمد بلو أن أهل هذه البلاد يهتمون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه، والكتابة باللغة العربية منذ وقت بعيد<sup>(٤٨)</sup> .

وفي خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، شهدت مملكة برنو عصراً مزدهراً بالفتوحات والتقدم السياسي والثقافي، ذلك هو عصر الملك إدريس ألوما (٩٧٩-١٠١٢هـ/١٥٧١-١٦٠٣م)، وهو الملك العادل الشجاع التقى، حسب ما يصفه لنا مؤرخه أحمد بن فرطوا (Fartuwa) . فقد قام هذا الملك بعدة غزوات ، واستولى على المناطق الواقعة في غربي كئو كلها حتى وصل إلى كئو ( في شمال نيجيريا)، وهكذا وصلت مملكة برنو إلى أوجها<sup>(٤٩)</sup> وكانت كذلك إلى أن ظهرت الثورة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

لقد استطاع ملوك كاتم وملوك برنو في أيام ازدهار دولتهم إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين دولتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة مصر وطرابلس رتنس ومراكش، وكذلك الحجاز بسبب الحج<sup>(٥٠)</sup> . وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين هذه المملكة وتلك البلاد العربية . والظاهر أن هذه العلاقة بدأت بسبب الحج، إذ إنه من المعروف : أن كثيراً من ملوك كاتم - برنو كانوا يؤدون تلك الفريضة، ويذكر لنا ابن خلدون وصول رسول من كاتم في سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) إلى أبي عبد الله محمد (المستنصر الأول) أحد خلفاء بني حفص بتونس، وكان الرسول يحمل معه هدايا ثمينة إلى الخليفة<sup>(٥١)</sup> . وقد أورد أيضاً القلقشندي نص الرسالة التي كتبها ملك برنو عثمان برّي بن إدريس (٧٩٤-٧٩٦هـ/١٣٩١-١٣٩٣م) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستجد به صدقائه<sup>(٥٢)</sup> .

خريطة  
توضح أهم المدن  
والمراكز التجارية  
في  
شمال وغرب إفريقيا  
في العصور الوسطى

المدن	•
المطرق	.....



ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة، فقد انتشر فيها التعليم ، وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء ، ومما ساعد في نشر اللغة العربية: وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها الذين اشتهروا باسم قبيلة شوا (Shawa) ، وهذه القبيلة - التي سبقت الإشارة إليها - تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد<sup>(٥٣)</sup>.

مما تقدم ، نستطيع أن نقول: إن حركة التبادل التجاري بين شمالي وغرب أفريقية ، ونشاطها المستمر ، وازدهار التجارة واستمرارها على مر الأزمان والأجيال، قد ساعد إلى حد كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في القارة الأفريقية جنوب الصحراء ، والفضل يرجع إلى التجار والدعاة الذين قاموا بالمخاطرة واجتازوا الصعاب . ويعتبر ذلك من أهم الإيجابيات لدخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في المغرب وأفريقيا ، فساعد كذلك على توسيع شبكة الاتصالات الإنسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء، فأتيحت -بفعل ذلك- لبقية العالم، شرقاً وغرباً، فرصة الاستفادة منها، وتنمية ثروته وموارده. وإن استقرار العرب في المدن والمراكز الأفريقية ببلاد السودان ، كان بدون شك عاملاً كبيراً في أن تصبح هذه المدن مركز لقاء واختلاط بين العرب وغيرهم من الشعوب الأفريقية في شمالي وغربي الصحراء . وبرزت أولى نتائج هذا التواجد بإيجاد مؤسسات إسلامية ثابتة في المدن الأفريقية التي ازدهرت في العصور الوسطى بالتجارة والثقافة وعامل الدين، وهذه المؤسسات تمثل في المساجد ومراكز التعليم، وقد وصلت قمة ازدهارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما قامت هذه المؤسسات -بذورها- في تعزيز علاقات الاختلاط بين المجموعات السكانية المختلفة في داخل هذه المدن التجارية والثقافية . وبازدياد

توغل وانتشار التجار العرب في المراكز التجارية المختلفة في بلاد غربي أفريقية :  
تتج عن ذلك نشوء عدة مناطق استقرار ثابتة ، تجارية وإسلامية . فمن بين تلك  
المراكز التجارية الناشئة في السودان الغربي - على سبيل المثال - كان هناك الحي  
الإسلامي في مدينة غانة، تلك المدينة التي شهدت نشاط التجار العرب كالمغاربة  
والمصريين والحجازيين والعراقيين وأهل الشام واليمانيين<sup>(٥٤)</sup> ، الذين استقروا  
وانتشروا في تلك البلاد ، لاسيما أن مدينة غانة كانت المدخل الوحيد للوصول إلى  
مناجم الذهب الواقعة جنوبها . وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر  
الميلادي) استمر الوجود التجاري في مدينة غانة وغيرها في الازدياد<sup>(٥٥)</sup> ولعل من  
أوضح نتائج هذا التواجد هو ازدياد قيمة التجارة في غانه، إضافة إلى نمو  
الاتصالات التجارية ما بين غانة من جهة وما بين مناطق المغرب الأوسط والأقصى  
من جهة أخرى . وقد ساعد وجود التجار العرب في المراكز التجارية في السودان  
الغربي ، بل توغّلهم المكثف فيه ، على حدوث عمليات الاختلاط والتزاوج بين  
العرب والزنوج في مراكز التجارة السودانية الأفريقية في بلاد غربي أفريقية ، كما  
أدى إلى قيام النشاطات التجارية الراسعة بين المراكز التجارية في الشمال والمراكز  
التجارية في الجنوب . وأصبحت تلك المراكز بدررها مراكز لقاء بين العرب  
والأفريقيين في جنوبي الصحراء ، ويظهر أثر ذلك واضحاً في التأثير الإسلامي  
الحضاري في تلك المنطقة منذ دخول الإسلام فيها في القرن الأول الهجري (السابع  
الميلادي) إلى أن ازدهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)<sup>(٥٦)</sup> .

## " الحواشي والتعليقات "

- ١ - للمزيد من التوضيحات انظر . محمد محمد زيتون . " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري " مجلة كلية العلوم الاجتماعية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . العدد (٣) (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢١١ وما بعدها . H.H. Johnston.

A History of the Colonization of Africa by An Alien Races ( Cambridge, 1913) pp. 15-20; B- Davidson.

Old Africa Re-discovered ( London, 1959) pp.70-73.

- ٢ - ويقال إن بلاد السودان ، تعني بلاد السود ، ومن ثم فإن كلمة السودان المأخوذة من هذا اللفظ تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة أفريقية . وقد جرى العرب وكذلك الأوروبيون على قصر هذه التسمية على الجزء الشمالي من تلك الأقطار، أو إطلاقها بصفة أعم على تلك المنطقة شبه الصحراوية من أفريقية التي تغلغل فيها الإسلام، وتقسم المنطقة من الناحية العملية إلى ثلاثة أقسام هي :-  
(١) السودان الغربي، ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر . (٢) السودان الأوسط، ويشمل حوض بحيرة تشاد . (٣) السودان الشرقي .  
وهناك تعريف آخر لبلاد السودان في العصور الوسطى، حيث إنها المنطقة الممتدة من حوض السنغال في المحيط الأطلسي غرباً إلى ساحل الصومال في المحيط الهندي شرقاً، وهي كذلك بلاد غربي أفريقية .  
للمزيد من التفصيلات انظر، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران

السعدي ، تاريخ السودان . تحقيق هوداس (Houdas) (باريس، ١٩٦٤م) ص ٩ وما بعدها . دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان " مج ١٢ ، ص ٣٢٧-٣٢٩؛ المر سيد أحمد العراقي ، " ملامح تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي " مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة النيا، المجلد الثالث ، العدد الثاني (١٩٩٣م) ص ٥٦٩ .

٣ - للمزيد انظر . إبراهيم علي طرخان . " قيام امبراطورية مالي الإسلامية " دراسات في التاريخ القومي الأفريقي . مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الأول سنة (١٩٧٠م) مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٠م . ص ٤-٦ . محمد محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب . . . " ص ٢١٩-٢٢١

٤ - انظر معلومات أكثر في : عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . تقويم البلدان . تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان (باريس: دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م) ص ١٥١ وما بعدها، محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة . رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق علي المنتصر الكتاني، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ج ٢، ص ٧٨١-٧٩٨ ، إبراهيم علي طرخان . " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي " مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد (٢) (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) (القاهرة : دار النهضة للطباعة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ٩ .

٥ - عبد الرحمن السعدي . تاريخ السودان ، ص ٢٥ وما بعدها ، أمين محمود . " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " مجلة الفيصل ، (١٨) (١٣٩٨هـ/١٩٦٨م) ص ١٩-٢٢ . وللمزيد من التفصيلات عن الصلات بين الجزء الغربي من العالم الإسلامي وحواضر العالم الإسلامي الشرقية في الحجاز والشام والعراق وفارس انظر، محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت) ص ٤١ وما بعدها . غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية . تقديم ومراجعة : أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ج-١ ، ص ٤١-٥٨ ، محمد محمد إبراهيم زغروت . " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين " مجلة الدارة ، العدد (١) سنة (١١) (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١١٥ وما بعدها ، السيد أحمد العراقي . " انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقية عبر التاريخ " مجلة دراسات أفريقية . المركز الإسلامي بالخرطوم، العدد (١) رجب (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٠٢-١٠٣ . S.M. Imamuddin

"Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt in the tenth Century A.C." Islamic Culture Vol. (38) (1964). pp.9-14.

٦ - للمزيد من التوضيحات انظر . عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . كتاب فتوح مصر وأخبارها (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٢٠م) ص ١٧٠ وما بعدها ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . فتوح البلدان (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٢١٤ وما بعدها ، محمد محمد زيتون . " العلاقات الثقافية بين

القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ٠٠٠" ص ٢١٢ وما بعدها،  
غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى  
الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب ج٧-٨ سنة  
(٢٦) (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٤٤٧ وما بعدها ، غيثان بن علي بن  
جريس " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة  
وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية بالرياض . العدد (٨) رجب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص  
٤١٢ وما بعدها .

٧ - أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري . " المغرب في ذكر بلاد أفريقية  
والمغرب " وهو جزء من كتاب المسالك والممالك . نشره راندون  
(Randon) ( الجزائر : د . ن ، ١٨٥٧م) ص ١٧٤-١٧٥ .

٨ - المصدر نفسه ، ص ١٧٩ . وللמיד من التفصيلات انظر أيضاً . آدم  
عبد الله الأثوري . موجز تاريخ نيجيريا (بيروت : د . ن ، ١٩٦٥م)

٩ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة  
الإنشاء . (القاهرة : طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٠٦م) ج٥ ، ص  
٢٨٤ .

١٠ - عبد الرحمن السعدي . تاريخ السودان ، ص ٤٣ وما بعدها ؛ دائرة  
المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان " مج ١٢ ،  
ص ٣٢٨ وما بعدها .  
R. Palmer. The Bornu.

Sahara and Sudan ( London, 1936) pp. 6-7, 149.

١١- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي . معجم البلدان ( بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) جـ ٤ ، ٤٣٢ ؛ إبراهيم علي طرخان ، " غانة في العصور الوسطى " المجلة التاريخية المصرية ( التي تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ) مج ١٣ ، ( ١٩٦٧م ) ص ٥١-٥٤ .

١٢- عمرو بن بحر الجاحظ . كتاب التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب . ( بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦م ) ص ٣٤ ؛ آدم الأثوري . موجز تاريخ نيجيريا ، ص ٣٥ .

J.Fage. An Introduction to the History of west Africa (Cambridge,1959) pp.21-22, Nehemiah Levizion.

" The Long March of Islam in the western Sudan" in the middle Ages of African History, ed. hy. Roland Oliver (London, 1967) pp.13-14.

١٣- أبو إسحاق إبراهيم الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي . كتاب مسالك الممالك . تحقيق ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٢٧م ) ص ٢٩-٣٠ . وللمزيد من التفاصيل عن اختلاط أهل غرب ووسط أفريقيا بمن حولهم من الشعوب انظر . أبو القاسم ابن حوقل النصيبي . كتاب صورة الأرض . تحقيق ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٩م ) ، ص ١٠٤ وما بعدها ؛ أبو علي أحمد بن رسته . كتاب الأعلاق النفيسة . تحقيق ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م ) ص ٣٤٧ وما بعدها . محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها " . ص ١١٨ وما بعدها ؛ محمد ريتون " العلاقات الثقافية بين القرون وبين المراكز الفكرية في



١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) ص ٧٨ وما بعدها، محمد زغروت، " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص ١٢١ وما بعدها.

١٦- محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص ١٢٠ وما بعدها، إبراهيم علي طرخان " البرتغاليون في غرب أفريقيا" حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة، (مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧م) مج ٢٥، ج١ (مايو ١٩٦٣م) ص ١٢-٢٧.

H. Johnston. A History of the Colonization pp.15-20, 24.

١٧- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ١١ وما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية، مادة " السودان " مج ١٢، ص ٣٢٦ وما بعدها.

١٨- الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٣٤-٣٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٤ وما بعدها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨، ج٤، ٤٣١-٤٣٢.

١٩- محمد زيتون، " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب" ص ٢١١ وما بعدها H. Johnston.

A History of the Colonization, pp. 15-20; B. Davidson. Old Africa, pp. 70-73.

٢٠- وللمزيد من التفصيلات انظر، السر سيد أحمد العراقي " تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري ( مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد،

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ١٤٧-١٤٨.

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah...." pp. 10 ff.

٢١- محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها... " ص ١١٥ وما بعدها؛ أمين محمود عبد الله " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " ص ١٩-٢١؛ غيثان بن علي بن جريس " بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص ٤٤ وما بعدها .

٢٢- J.Fage. An Atlas of African History ( Cambridge, 1958) pp.17-18.

٢٣- E.W. Bovil. The Golden Trade of the Moors, pp.52-53.

٢٤- للمزيد من التفاصيل، انظر: الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٢٤، المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ٢١٥ وما بعدها، السر سيد أحمد العراقي: "تجارة القوافل وأثرها الحضاري" ، ص ١٥١-١٥٢ .

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah" pp. 11 ff.

٢٥- ولغة الفلاني تعرف باسم لغة القولي أو الفلدي، وهي اللغة التي تتحدث بها قبيلة الفلاني أو الفلانيون المنتشرون في بلاد غربي أفريقيا حتى غرب بلاد السودان الحالية (جمهورية السودان).

٢٦- البكري ، من كتاب المسالك والممالك . ص ١٧٥-١٧٧، محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب... " ص ٢١٢ وما بعدها .

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 61-62, J.S. Trimmingham. Islam in West Africa (Oxford, 1959) pp. 13-15.

٢٧- البكري، من كتاب المسالك والممالك، ص ١٧٨ وما بعدها

٢٨- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج ٢، ص ٧٨١ وما بعدها

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 90-92; Encyclopdia of Islam, Vol.4, pp.489-491.

٢٩- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج ٢، ص ٧٩٠-٧٩١

٣٠- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ٩ وما بعدها، وللمزيد من

التفصيلات انظر، محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي: إنفاق

الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق وتصح (Whitting)

(لندن، ١٩٥١م)، وحققه أيضاً أبو بكر قُمي في القاهرة (١٩٦٤م)

ص ٤-٣، حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية

(القاهرة: د.ن، ١٩٦٣م) ص ٩٩، السيد أحمد العراقي، نظام

الحكم في الخلافة الصكبية (١٨٠٤-١٩٠٣م) (الخرطوم: د.ن،

١٩٨٣م) ص ٧-١٥،

H.A.S. Johnston. The Fulani Empire of Sokoto (London, 1967) pp.17-19; Murray Last. The Sokoto Caliphate (London, 1967) pp.46-7.

٣١- قبائل الماندنغو أكبر القبائل الأفريقية في غربي أفريقيا في العصور

الوسطى، ومن أول من اعتنق الإسلام، وهم مؤسسو مملكة (مالي)

الإسلامية. أما الفلاني فقد سبقت الإشارة إليهم، وهم الذين أسسوا

الخلافة الصكبية بقيادة الجاهد الأكبر عثمان بن فودي، وهم دور كبير

في نشر الإسلام، في بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الثامن

الهجري (الرابع عشر الميلادي).

٣٢- للمزيد من التفاصيل، انظر، محمد زغروت، "العلاقات التجارية

الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص ١١٨ وما بعدها.

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 44ff; S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah.", pp. 12ff.

٣٣- إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي . . . " ص ٣٦ . ولزيد من التفصيلات ، انظر: دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية: مادة " السودان " مج ١٢ ، ص ٣٢٨ وما بعدها . غيثان بن علي بن جريس . " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام " ، مجلة المورخ العربي، العدد (١) . مج (١) (القاهرة، ١٩٩٣م) ، ص ١٣٣ وما بعدها .

٣٤- نجرتيا، تسمية أطلقها المورخ الروماني بليني (Plinns) نسبة إلى نهر النيجر . وبليني (مات حوالي ١١٥م) هو الذي أطلق على نهر النيجر اسمه الذي اشتهر به (Nigris) ، ومعناه نيل الأجناس السوداء . انظر، إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية . . . " ص ٨ وما بعدها .

٣٥- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٨-١٠١، ١٠٤ وما بعدها .

٣٦- إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية (القاهرة : د . ن ، ١٩٧٣م) ص ١٥٤-١٥٧ ، E.W. Bovil.

The Golden Trade, pp. 42 ff, S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain" pp. 12 ff.

٣٧- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج ٢، ص ٧٨٦

وما بعدها، E.W. Bovil. The Golden Trade, pp.90-100

- ٣٨- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨٥ وما بعدها، إبراهيم طرخان،  
دولة مالي الإسلامية، ص ١٥١، محمد محمد زيتون، "العلاقات  
الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب" ص ٢١١  
وما بعدها.
- ٣٩- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٢ وما بعدها. ابن  
بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨٥، إبراهيم طرخان. دولة مالي  
الإسلامية، ص ١٥١-١٥٢.
- ٤٠- إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ١٥٢، وما بعدها.
- ٤١- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ١٤ وما بعدها. إبراهيم  
طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ١٥٥ وما بعدها. وأحمد بابا يلقب  
بالتبكتي من (تبكت أو تمبكتو) في (جمهورية مالي حالياً)، وهو من  
أشهر علماء غرب أفريقية في العصور الوسطى، وكذلك السعدي من  
علماء أفريقية المشاهير وله مصدر تاريخي جيد عن بلاد السودان تحت  
عنوان: (تاريخ السودان).
- ٤٢- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨١
- ٤٣- توماس أنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن،  
وعبد المجيد عابدين (القاهرة: د. ن، ١٩٥٧م) ص ٣٤٩.
- ٤٤- ديشان (H. Deschan) • الديانات في أفريقية السوداء، ترجمة:  
أحمد صادق (القاهرة: د. ن، ١٩٦٩م) ص ١٣٢-١٣٣
- ٤٥- القلقشندي، صج الأعشى، ج٥، ص ٢٩٨. ولزيد من التفاصيل  
انظر: محمد زيتون: "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز  
الفكرية في المغرب" ص ٢١٦، وما بعدها.

٤٦ - إبراهيم طرخان: امبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة: د.ن،

١٩٧٥م) ص ١١٢-١١٣، محمد زغروت، العلاقات التجارية

الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها، ص ١١٩ وما بعدها، S.M.

Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqyah..." pp. 13-14.

٤٧ - إبراهيم طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، ص ١١٣، وما بعدها.

٤٨ - محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، إنفاق المسور في تاريخ بلاد

التكرور، ص ١٠-١١

٤٩ - أحمد بن فرطرا، تاريخ ابن إدريس وغزواته (كنو: د.ن، ١٩٣٢م)

ص ١٣٦-١٣٧.

٥٠ - محمد زيتون: "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في

المغرب"، ص ٢٢٢ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس: بحوث

في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج١، ص ٢٣-٢٥، ٤٢-٥٠،

S.M.Imamuddin "Commercial Relation of Spain with Ifriqyah and Egypt..." pp.12-14.

٥١ - ابن خلدون، كتاب العبر، ج٣، ص ١٣٦-١٣٧، (ويذكر الناصري

أيضاً في كتابه: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٥، ص ١٠٤

وما بعدها " أن رسول ملك برنو قَدِمَ إلى المنصور في سنة (٩٩٠هـ)

ومعه هدية إليه من العبيد والإماء والكساء فقوبل بحفاوة عظيمة .

وكان ملك البرنو يطلب من أمير المؤمنين المنصور المدد من العساكر

والبنادق ومدافع النار، فاشترط عليه أن يدخل في بيعته أولاً.

فقبل الرسول ذلك، وكب صورة البيعة التي أخذها الرسول إلى ملك

برنو .

- ٥٢- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٨، ص ١١٦ وما بعدها .
- ٥٣- هاجرت قبيلة شوا إلى البرنو في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طُردت من مصر في العهد الفاطمي، طردهم الخليفة الفاطمي المستنصر . واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والبطش؛ ولذلك استفاد منهم ملوك البرنو في الجيش . انظر Akin mabogunje. The land and the people of West Africa ( Ibadan,1972) pp.27-9.
- ٥٤- لمزيد من التفاصيل انظر، ابن خلدون: كتاب العبر، ج٦، ص ٢٢، ٤١ . ابن حوقل، صورة الأرض . ص ٦٠، البكري، كتاب المسالك والممالك، ١٥٨، ياقوت الحموي . معجم البلدان، طبعة مصر (١٩٠٦م) ج٤، ص ١٨٢، محمد زيتون: "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب"، ص ٢١٦، وما بعدها، محمد إبراهيم زغروت . "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص ١٢٣، وما بعدها، S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt..." pp. 9-14.
- ٥٥- البكري، كتاب المسالك والممالك ، ص ١٧٥-١٧٦ .
- ٥٦- صاح إبراهيم الشихلي . "النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري" مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر . المنظمة العربية للدراسات والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٢٩-٤٤، محمد زغروت "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص، ١١٦ . وما بعدها .